الصباح الإسلامية
09
إعداد : ياسر السيد
العدد 2281 - السنة الثامنة
الإثنين 21 ذي الحجة 1436 - الموافق 5 اكتوبر 2015
Monday 5 October 2015 - No.2281 - 8th Year

السعي وراء ه من أجل الأعمال وأكثرها نفعاً

آداب لطالب العلم .. يجب أن يتحلى بها

■ الإخلاص في طلبه يعد من طرق التقرب إلى الله تعالى وخطوة على الطريق الصحيح نحو الفلاح

■ الإنسان كلما ازداد علماً بالكتاب والسنة ازدادت معرفته بربه وجلاله وعظمته وصفاته الحسني وأسمائه العلى

إن من أجل نعم الله تعالى على المسلم، هي أن يرزقه طلب العلم، فأنت أيها الشاب حينما يمن الله عليك بحفظ كتاب الله، أو حضور درس في العلم، تكون من ضمن الحاملين على عاتقهم مهمة تبليغ هذا العلم، إن كلمة الآداب (أصبحت من الكلمات المهجورة هذه الأيام، فالآداب التي نتحدث عنها هنا ليست هي الاهتمام باختيار الشوكة المناسبة لاستخدامها عند تناول الطعام أو أماكن وضع أكواب الماء على الطاولة، فالأخلاق الجيدة من الأشياء التي لا تخطئها العين، فعندما يعاملك أحدهم بكياسة بدلاً من الفظاظة، فإنك ستشعر بإحساس جيد حيال نفسك، ستشعر بأنك محل احترام وتقدير، وعندما كنت طفلاً صغيرًا ربما كان والداك يركزان على بعض السلوكيات التي ربما تبدو مهجورة اليوم، وبعضها كذلك بالفعل يجب أن تساعد شباب اليوم على فهم أنهم لا يعيشون في هذا العالم وحدهم، وأن كل واحد منهم مهم، فإن مستقبل الشباب ونجاحهم سيتحسن كثيرًا باعتماد السلوكيات المناسبة) [تنشئة المراهقين، لين هاجنز-كوير، ص(117)].

والشاب المسلم حينما يطلب العلم، ويعلمه للناس أن يتحلى ببعض الآداب، وأن يظهر هذا العلم على جوارحه، فالعلم والعمل يكملان بعضهما، ومن هذه الآداب التي يجب على الشاب المسلم أن يتحلى بها:

الإخلاص قلب العبادة وروحها وأحد شرطي قبول العمل عند الله تعالى قال سبحانه:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: 110].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: 5].

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه) [متفق عليه].

ولأن طلب العلم الشرعي - كما نقرر من قبل - عبادة من أعظم العبادات، وقربة من أجل القربات، لذلك امتنع أن يقبل إلا بإخلاص القصد في طلبه لله رب العالمين.

ولقد تنوعت عبارات السلف رحمهم الله في تعريف الإخلاص إلا أن المعنى الجامع لها: أن يكون الباعث على العمل هو ابتغاء مرضات الله سبحانه وحده.

ومن أطايب كلام السلف في معنى الإخلاص:

(قيل: هو إفراد الحق سبحانه بالقصد في الطاعة ، وقيل: تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين ، وقيل: الإخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق، ومن تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله ، وقال بعضهم: الإخلاص أن لا تطلب على عملك شاهدا غير الله، ولا مجازيا سواه) [المجموع القيم من كلام ابن القيم، منصور بن محمد المقرن، ص (235-236)].

وقال سهل رحمه الله: (الإخلاص أن يكون سكون العبد وحركاته لله تعالى خاصة، وقيل له: أي شيء أشد على النفس؟ ، فقال: الإخلاص إذ ليس لها فيه نصيب) [إحياء علوم الدين، الغزالي، (4/402-403) باختصار].

إن الحرص على المال والشرف يفسد الدين أشد من إفساد ذئبين جائعين لقطيع من الغنم ،انفردا به في غفلة عن الراعي ،وهذا كما لو كان المرء يطلب بهذا العلم الشريف رياسة أو منصبا أو جاها مستبدلا الذي هو أدنى بالذي هو خير، وتفصيل ذلك في هذا المثال الرغيب الذي يضربه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمته فعرفها قال فما عملت فيها قال: قاتلت فيك حتى استشهدت قال: كذبت ولكنك قاتلت ليقال جرئ وقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار.

ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمته فعرفها قال: فما عملت فيها قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قيل كذبت ولكنك تعلمت ليقال عالم وقرأت ليقال قارئ وقد قيل فأمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار.

ورجل قد وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأتي به فعرفه نعمته فعرفها قال فما عملت فيها ؟ قال ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قيل كذبت ولكنك أنفقت ليقال جواد، فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار)[صححه الألباني، صحيح الترغيب والترهيب، (1/22)].

قال ابن جماعة رحمه الله: (حسن النية في طلب العلم بأن يقصد به وجه الله تعالى والعمل به، وتنوير قلبه، وتحلية باطنه، والقرب من الله تعالى يوم القيامة، والتعرض لما أعد الله لأهله من رضوانه وعظيم فضله ، قال سفيان الثوري: ما عالجت شيئا أشد على من نيتي.

ولا يقصد به الأغراض الدنيوية من تحصيل الرياسة والجاه والمال، ومباهاة الأقران، وتعظيم الناس له، وتصدره في المجالس، ونحو ذلك، فيستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، قال أبو يوسف رحمه الله: يا قوم، أريدوا بعملكم الله تعالى، فإني لم أجلس مجلسا قط أنوي فيه أن أتواضع إلا لم أقم حتى أعلوهم، ولم أجلس مجلسا قط أنوي فيه أن أعلوهم إلا لم أقم حتى أفتضح.

والعلم عبادة من العبادات، وقربة من القرب، فإن خلصت فيه النية قبل وزكا، ونمت بركته، وإن قصد به غير وجه الله تعالى حبط وضاع، وخسرت صفقته، وربما نلوته تلك المقاصد، ولا بنالها فيخيب قصده، ويضيع سعيه) [تذكرة السامع والمتكلم، ص (69-70)].

نماذج من اعتناء السلف بالإخلاص:

قال بشر بن الحارث رحمه الله: (رأيت مشايخ طلبوا العلم للدنيا فافتضحوا، وآخرين طلبوه فوضعوه مواضعه وعملوا به وقاموا به فأولئك سلموا فنفعهم الله تعالى ... ولقد رأيت أقواما سمعوا من العلم اليسير فعملوا به، وآخرين سمعوا الكثير فلم ينفعهم الله به) [حلية الأولياء، أبو نعيم، (8/349)].

وعن عون بن عبد الله قال: (كان الفقهاء يتواصون بينهم بثلاث وكتب بذلك بعضهم إلى بعض: (من عمل لآخرته كفاه الله دنياه ، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته ، ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس) [تهذيب الحلية، (2/27)].

وعن عمر بن ذر أنه قال لوالده: (يا أبي! مالك إذا وعظت الناس أخذهم البكاء، وإذا وعظهم غيرك لا يبكون ؟ فقال: يا بني ! ليست النائحة الثكلى مثل النائحة المستأجرة) [العقد الفريد، لابن عبد ربه، (2/94)].

ثانيًا: تقوى الله في السر والعلن: إن تقوى الله تعالى هي ثمرة مباشرة لتعلم العلم الشرعي، لأن الإنسان كلما ازداد علما بالكتاب والسنة إزدادت معرفته بربه وجلاله وعظمته، وصفاته الحسنى وأسمائه العلى، فيورثه ذلك تقوى الله تعالى وخشيته في السر والعلن، ولذلك يقول تعالى:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: (أي إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به، لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى، كلما كانت المعرفة به أتم والعلم أكمل كانت الخشية له أعظم وأكثر) [تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (4 / 26)].

ما هي التقوى؟

المعنى الجامع للتقوى: هو أن يأخذ العبد وقايته من سخط الله عز وجل وعذابه، وذلك بامتثال المأمور واجتناب المحظور ، قال الحافظ ابن رجب رحمه الله (وأصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه ، فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك)[جامع العلم والحكم، ابن رجب، ص (148)].

العلم ثمرة التقوى:

وكما أن تقوى الله تعالى من ثمرات تعلم العلم الرباني، فإن العلم أيضا ثمرة مباشرة لتقوى الله تعالى، بل شرط من شروطه، كما قال تعالى:

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 282].

ولا شك أن الإنسان كلما ازداد علما ازداد معرفة وفرقانا بين الحق والباطل، والضار والنافع، وكذلك يدخل فيه ما يفتح الله على الإنسان من الفهم؛ لأن التقوى سبب لقوة الفهم، وقوة الفهم يحصل بها زيادة العلم، فإنك ترى الرجلين يحفظان آية من كتاب الله يستطيع أحدهما أن يستخرج منها ثلاثة أحكام، ويستطيع الآخر أن يستخرج أكثر من هذا بحسب ما آتاه الله من الفهم.

ذكر بعض أهل العلم زيادة على أولئك أوصلها بعضهم إلى سبع، وأوصلها آخرون إلى ما هو أكثر من ذلك، قال ابن العماد الحنبلي في كتابه شذرات الذهب: وقد ذكر الهروي الذي شاع عنه أنه يحفظ اثني عشر ألف حديث وأنه يحفظ صحيح مسلم بأسانيده ويحفظ متون البخاري، قال: فجرت مناظرة بينه وبين ابن حجر.... ومن جملتها أنه سأله أن يزيد على السبعة الذين يظلهم الله في ظله فعجز، فزاد ابن حجر سبعة أخرى بأحاديث حسان، وأربعة عشر بأحاديث ضعاف، وذكر ذلك في إنباء الغمر فراجعه. قلت: أوصلهم بعضهم إلى تسع وثمانين، وممن أوصلهم إلى هذا المقدار العلامة ابن علان المكي المدرك في كتابه شرح رياض الصالحين للنووي. انتهى.

وسبعة الحديث نظمهم أبو شامة في بيتين يقول فيهما:

وقال النبي المصطفى
إن سبعة يظلهم الله الكريم بظله
محب عفيف ناشئ متصدق
وباك مصل والإمام بعدله

وقال ابن حجر في فتح الباري بعد ذكره لقصة المناظرة: ثم تتبعت بعد ذلك الأحاديث الواردة في مثل ذلك فزادت على عشر خصال، وقد انتقيت منها سبعة وردت بأسانيد جياد، ونظمتها في بيتين تذييلا على بيتي أبي شامة وهما:

وزد سبعة إظلال غاز وعونه
وإنظار ذي عسر وتخفيف حمله
وإرفاد ذي غرم وعون مكاتب
وتاجر صدق في المقال وفعله

فأما إظلال الغازي فرواه ابن حبان وغيره من حديث عمر، وأما عون المجاهد فرواه أحمد والحاكم من حديث سهل بن حنيف، وأما إنظار المعسر والوضيعة عنه، ففي صحيح مسلم كما ذكرنا، وأما إرفاد الغارم وعون المكاتب فرواهما أحمد والحاكم من حديث سهل بن حنيف المذكور، وأما التاجر الصدوق فرواه البغوي في شرح السنة من حديث سلمان وأبو القاسم التيمي من حديث أنس.

المستظلون بظل الرحمن

مساجد الإسلام .. في كل مكان

المسجد الكبير بالكويت

مسجد الدولة الكبير هو مسجد كويتي يقع في مدينة الكويت قرب شاطئ الخليج العربي افتتح عام 1986م بناء على توجيهات من الشيخ جابر الأحمد الصباح. بدأ العمل في بنائه عام 1979 واكتمل عام 1986 وبلغت كلفة إنجازه 14 مليون دينار كويتي وساهم في بنائه خمسون مهندسا وأربعمائة وخمسون عاملا. صمم المسجد المهندس المعماري محمد صالح مكية واختار تصميمه على الطراز الأندلسي الفاخر وتبلغ مساحة المسجد 45 ألف مترا مربعا. منها 25 ألف مترا مربعا مبنية، و20 ألف مترا مربعا مكشوفة تشكل حدائق وممرات المسجد الخارجية.

يعد أكبر مسجد في دولة الكويت حيث أنه يصلي في المسجد في ساحات المسجد في ليلة 27 من رمضان حوالي 170.000 شخص. يتبع المسجد من الناحية الإدارية إلى قطاع الشؤون الثقافية في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ويقع مبنى الإدارة في الجهة الجنوبية من المسجد. تعمل إدارة المسجد الحالية تحت شعار «مؤسسة إسلامية رائدة ومعلم إسلامي متميز» وبشكل منسجم مع رؤية المسجد ورسالته وغاياته الإستراتيجية. ويؤم المصلين في صلاة القيام الشيخ مشاري بن راشد العفاسي والشيخ فهد الكندري والشيخ صلاح الهاشم ويؤم المصلين في الأيام العادية الإمام والخطيب في المسجد الكبير الشيخ د.وليد العلي

ويتكون المسجد الكبير من أجزاء عديدة تؤدي دورها بتناسق وإيقاع، فهي من جهة مجموعة لا تكاد توجد في مسجد آخر إلا في النادر من مساجد العالم، كما أنها من جهة أخرى تمثل عدة مدارس معمارية قديمة أصيلة وحديثة مبدعة، مع تميزها ببعض اللمسات المحلية ويتميز المسجد الكبير بوجود ثلاثة بيوت للصلاة: البيت الرئيسي، والمصلى اليومي، ومصلى النساء.

يعد مسألة إنسانية أخلاقية بالدرجة الأولى وهو يعبّر بوضوح عن جوهر الإنسان وحقيقته

عقوق الوالدين .. سخط دنيوي ونكال في الآخرة

بُعد احترام الوالدين، وحسن التعامل معهما، مسألة إنسانية أخلاقية بالدرجة الأولى؛ إذ أنّ ذلك يُعبّر بوضوح عن جوهر الإنسان وحقيقته الصادقة، إلا أننا قد نرى في هذه الأيام سلوكيات تصدر من قبل بعض الأبناء لا تمتّ إلى الإنسانيّة وقيم الدّين والأخلاق بصلة، حيث يعمد هؤلاء إلى إساءة معاملة الوالدين ورفع الصوت فوق صوتهما، وقد يصل الأمر إلى حدّ رفع اليد عليهما وإهانتهما، ومع أنّ العقوق في الماضي قد لا تتجاوز العقوق اللفظي، إلا أننا نسمع بين الحين والآخر حالياً قصصاً تقشعر لها الأبدان عن أبناء تجاوزوا الحد في العقوق، حتى وصل الأمر إلى الضرب أو القتل أو التعذيب، فما هي أسباب هذا التحول المجتمعي، الذي كان يعطي قيمة كبيرة للوالدين وبرهما؟ وماذا أصبحنا نرى ونسمع قصصاً مؤلمة في عقوق الآباء؟ وهل تخلفت مؤسسات المجتمع عن أداء دورها في هذا الجانب؟ أم أنّ الآباء قصّروا في التربية؟

يوماً ما ستدفع الثمن وتدرك كم كنت تعيسا لئيما.. وحين تفقدهما لن ينفع الندم

ظروف متغيرة

وقال «سعيد آل خُزيم» -إمام مسجد-: «إنّنا اليوم نعيش في ظل ظروف متغيرة ومؤثرة على الأبناء والآباء معاً، فالعقوق يأتي من تخلي الآباء عن دورهم في التربية الحسنة لأبنائهم، إلى جانب انشغالهم عنهم، وكذلك عدم النصح والدعاء لهم، لذلك نحن نسمع كثيراً عن جرائم يرتكبها الأبناء بحق والديهم، مثل: الضرب أو القتل أو التعذيب، والصحف تطالعنا كل يوم بجريمة تلو الأخرى».

وبيّن أنّ مظاهر العقوق متعددة، ومنها ما يفعله الأبناء وهم غافلون عنه، ومنه ما يعرف بديهيا، مشيراً إلى أنّ هناك أشكالاً مختلفة من العقوق قد يفعلها الإشخاص ويغفلون أنها تُعدّ شكلاً من أشكال عقوق الوالدين، ومن ذلك رفع الصوت عليهما والتضجر وإظهار الانزعاج من أوامرهما وتحزينهما وإبكائهما، أو الغضب والصراخ أمامهما، موضحاً أنّ مجرّد انتقاد الطعام الذي تعده الأم أو يجلبه الأب والسخرية منه أو العبوس وعدم الابتسام إليهما وترك الإصغاء لحديثهما أو عدم إعطاء الاهتمام أو انتباه لكلامهما أمور تُعدّ من العقوق.

وأشار إلى أنّ تفضيل الزوج أو الزوجة عن الأم أو الأب أو التعدي عليهما بالضرب أو ذم الوالدين أمام الآخرين وعدم السلام عليهما أو عدم إلقاء التحية عليهما بحجة أنّه يراهما كل يوم، أمور تُعدّ أيضاً من العقوق المنهي عنه، موضحاً أنّ «الله» -عزّ وجلّ- نهى في كتابه الكريم عن التضجر من الوالدين، إذ تقول -سبحانه وتعالى- في محكم التنزيل: «ولا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما»، مُضيفاً أنّ بعض الأبناء قد يلعن أحد الأبوين أو كليهما، فعن عبدالله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه»، قيل: يا رسول الله، وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: «يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه»، وشدّد على أهمية التربية الحسنة للأبناء، لافتاً إلى أننا وسط عالم مليء بالفتن، موضحاً أن علينا التسلح بالعديد من الأمور، ومنها: القدوة من الأبوين بالبر بآبائهم، مُشيراً إلى أهمية دور المسجد والمدرسة، إلى جانب الترغيب والترهيب وتعظيم مثل هذه الأمور، مؤكداً أنّ المسؤولية هنا مشتركة، إذ أنّ المعلم مسؤول وإمام المسجد مسؤول والجار مسؤول والقريب مسؤول، مُبيّناً أنّ الواجب هو ألا يرى أحد أمامه شاباً أو فتاة عاقين بأهلهم ويسكت، حيث أنّ عليه النصح والتوجيه، وأضعف الإيمان الدعاء لهما بالصلاح والبر بوالديهم.

عقوبة العقوق

وأكّد «آل خُزيم» أنّ أن عقوبة الاعتداء على الوالدين، سواءً لفظياً أو حسياً، تتدرج تحت عقوبات التعزير التي يُقدّرها القاضي وفقاً للواقعة التي أمامه، وحسبما يراه مصلحاً للولد، مشيراً إلى أنّ عواقب عقوق الوالدين متعددة، إذ أنّ منها ما هو في الدنيا، ومنها ما هو في الآخرة، فأولها أن لا يقبل منه، إلى جانب القلة في الرزق وكسب المعيشة، وكذلك فإن «الله» -سبحانه وتعالى- يكرهه ويبغضه بين الناس، وبين أهله وجيرانه، إضافة إلى أن الملائكة تلعنه، ولا يرفع له دعاء وتغلق أبواب السماء عليه.